



{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}.

كما يُقالُ؛ شَرُّتُ العسلَ، إذا أخذتهُ من موضعه واستخرجتهُ مِنْهُ، كما في (الرَّاغِب) كذلك فإنَّ قرار الجماعة، وعلى مختلف المستويات، يلزم أن يكونَ كذلك، لا يستبدَّ بهِ واحدٌ أَيْلًا كان اسمهُ ورسمهُ وعلمهُ وموقعهُ، أو حتَّى مجموعة، فكلَّما زاد التَّشاور والمشاورة والمشورة لاستخراج الرَّأي بمراجعةِ البعض إلى البعض من قولهم، كلَّما كرَّست الجماعة الإحساس بالمسؤولية عند أعضائها، فالمرءُ يشعر بالمسؤولية إزاء القرار الذي يشارك في اتِّخاذه أكثر بكثيرٍ لو كان بعيداً عن أجوائه.

فلقد كان أَميرُ المؤمنين (ع) يحرِّضُ المجتمع على التَّشاور من خلال إصغائه شخصيًّا إلى رأي النَّاس، من جانب، ومن خلال صناعة الأجواء الآمنة التي تحثُّهم وتشجِّعهم على حرية التعبير والإفصاح عن رأيهم، من جانبٍ آخر، فكما أسلفنا فيما مضى فإنَّ أجواء الرُّهبة والخوف والرَّعب لا تشجِّع صاحب

الرأي على الإدلاء بما يعتقد به بحريةٍ وبكامل الاختيار، وهذه من مسؤوليات الحاكم على وجه التحديد، إلى جانب المجتمع بشكلٍ عام، في خلق الأجواء النقيّة والصحيّة والسليمة والأمنة لإدلاء أصحاب الآراء والأفكار بما يعتقدون به بحريةٍ تامّةٍ، حتى إذا تعارض رأيهم مع رأي الحاكم أو مع الرأي السائد، فمن أدوات الديمقراطية اليوم، كما هو معروف، حرية التعبير من جهةٍ ووجوب الإصغاء لرأي الآخر حثّي إذا اختلف معك، من جهةٍ أخرى.

إنّه (ع) كان يحثُّ على الرأي والرأي الآخر، ويعلمهم أدب المشورة، فقد خطب في أصحابه مرّةً قائلاً: {فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَخَفَّطُوا مِنِّي بِمَا يُتَخَفَّطُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبِدَارَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَطُنُّوا بِي اسْتِغْثَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا ائْتِمَاسَ إِعْطَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِغْثَالَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنَِّّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِغَفْوٍ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ} منْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَرَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنِّي مَا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِنَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَّحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الصَّلَاحِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى}.

انظروا كيف كان الإمام (ع) يخلق الجوَّ الآمن بنفسه، وهو الحاكم الأعلى في البلاد، من خلال التّواضع من جانب ورفض تعامل أصحابه معه بالمداراة على حساب حرية التعبير وقول الرأي الذي يراه أحدكم حقاً وصحياً ومفيداً.

وكلُّ ذلك من أجل أن يحملهم المسؤولية عند الفشل تحديداً، عندما يتهرّب الجميع من تحمُّلها، فلقد قيل [للنّصر مليونُ أبٍ، أمّا الهزيمةُ فيتيمةٌ!] فلا يقولنَّ أحدٌ منهم أنّه فوجئ بقرارٍ أو أخذ على حين غرّةٍ بموقفٍ أو إنّه لم يكن يعرف بماذا؟ وكيف؟ ولماذا؟ فكّر الإمام بهذه الطّريقة وليس بغيرها.

ولذلك فعندما انقلب الخوارج على قرار الحكومة، والمقصود التّحكيم، الذي شاركوا في بلورته والدفع باتّجاهه، بغضّ النظر عن أيّ شيء، فإنّ الإمام أوّل ما حاجههم به هو أنّه حملهم مسؤوليّة الالتزام بالقرار وتحمّل تبعاته مهما كان نوعها ومهما عظمت التّحدّيات لأنّهم شاركوا في

بلورته . وهم ممّن أشار على الإمام وإنّه (ع) كان قد أصغى إلى رأيهم وبالتّالي بنى موقفه ورأيه وقراره من الحكومة على أساس رأي الأغليبيّة على الرّغم من اختلافه مع حيثيّاته ومقدّماته ، وعلى الرّغم من أنّه كان قد حذّر من ذلك، ولهذا السّبب يمكن الجزم بأنّ الشورى عامل مهم جدّا من عوامل تكريس الإحساس بالمسؤوليّة .

لنقرأ كيف بنى الإمام المسؤوليّة على الشورى، عندما حاجّهم بقوله: {فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَنَّ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبِعَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْأَعْوَجَاجُ دَأْبَهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِيهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثَّقَفَةُ فِي أَيْدِينَا لِنَقُصِّنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرِفُ مِنْ مَعَكُوسِ الْحُكْمِ}.

وفي كلام آخر معهم، يَقُولُ (ع): {فَلَمْ آتِ - لِأَبَا لَكُمْ - بِجُرْأٍ، وَلَا خَتَلَاتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لِبَسَّتُهُ عَلَيْهِكُمْ، إِنْ مَّا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَّعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمَدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِيهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا}.

بل إنّه حذّر من الانقلاب على الحكومة بعد اتّفاق الأغليبيّة على القرار، على الرّغم من انتباههم إلى خطأ رأيهم متأخراً، إلّا أنّ الإصلاح والتّغيير، برأي الإمام، لا يكون بهذه الطّريقة الفوضويّة التي انتهجها وسار عليها الخوارج (التكفيريّون) إذ يلزم العودة مرّةً أُخرى إلى رأي الأغليبيّة مهما كانت النّتائج، ولذلك ظلّ يحذّرهم الإمام (ع) من مغبّة الفوضى في كسر القرار والخروج على الإجماع، كما خاطبهم بقوله (ع): {وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ الْإِجْمَاعِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْقُرْآنَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. أَلَا مَنْ دَعَا إِلَيَّ هَذَا الشَّيْعَارَ فَأَقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ، فَإِنَّمَا حُكْمُ الْحَاكِمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الْافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنَّ جَرَّ نَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ

اتَّبِعُونَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَىٰ ذُنُوبِهِمْ أَنِ اتَّبِعُونَا}.

كلّ هذا على الرّغم من أنّ رأي الإمام كان على النّقيض من رأي الأغليّة، كما يقول (ع): {وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ المخالفين، حتّى صرّفت رأئي إلّٰى هَؤَلاَئِكَ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءِ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْإِحْلَامِ، وَلَمْ آتِ لَكُمْ إِلَّا أَيْدِي لَكُمْ، وَلاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا}.

وفي قوله وهو يشرح سبب البلوى {أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرِبِ تَوْرَثُ الْحَسْرَةِ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْرُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَاصِرِ أَمْرٍ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجُفَاءِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حتّى ارتأب النّاصحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّوْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ: أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى * فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ}.

بل إنّه كان قد بذل كلّ جهده لصرفهم عن رأيهم غير السّليم، كما يصف ذلك بقوله (ع): {هذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقُودَةَ! أَمَّا وَاللَّوِ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ الْفِيهِ خَيْرًا، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّيْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْزِلْتُ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةَ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلَاغَهَا مَعَهَا!}.

هذا يعني أنّ الإمام (ع) يحترم رأي الأغليّة حتى إذا تقاطع مع رأيه من أجل أن يحملهم المسؤولية، عند الحساب، ولذلك نراه كان واضحاً معهم في كلّ خطوةٍ من الخطوات التي أنتجت قرار الحكومة، فهو لم [يختلهم (أي يخدعهم)] على حدّ قوله، ولم [يلبسهم (أي يخلط الأمر ويشبهه) عليهم حتى لا يُعرف)] على حدّ قوله كذلك.

وهذه من أرقى وأهمّ وأعظم شروط المشورة، الوضوح وعدم التّضليل وحرّيّة الوصول إلى المعلومة، وأحياناً حتّى الأسرار، فذلك يُزيد من فرص تحميل الآخر المسؤولية عند الفشل تحديداً، وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ أَلَسَتْ بِرَبِّكُمْ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۚ